

سوسيولوجيا العزلة: ميراث الحرب في سوريا. وخلصات البحث المنشور على أجزاء عن «العدالة الاجتماعية والانتفاضات العربية». وفي «فكرة» تبين لاتجاه نحو ممارسة «الإخفاء القسري» في مصر.

أجديات التنمية الفلسطينية، من المركز إلى الأطراف: عن الحدود والخطوط والجدران والمعابر والحواجز. ورئيس الوزراء المصري «يكتشف» أزمة المستشفيات الحكومية. وفي «الزاوية الحمراء» مزيد من «سوريالية» الواقع.

موسم.. الغش في امتحانات البكالوريا في المغرب، وسواه. وفي «بألف كلمة»، كاريكاتير من العراق. وفي خصوص مختارة من مدونات او فايسبوك: «أين إسرار؟»، وتدمير آثار اليمين، وإفلات البشير من المساءلة.

4

3

2

عن «الجيش الذي لا يقاتل».. مثال العراق

يقر فريد زكريا، العلق الأميركي المثير للجدل، في مقالة نشرتها واشنطن بوست، انه لم يعد هناك أحد في العراق مستعداً للقتال من أجل العراق نفسه. ليس الأمر نقصاً في رغبة القتال بشراسة، يضيف زكريا، فالكرد يقاتلون بشراسة من أجل كردستان، والشعبة يقاتلون باصرار من أجل اهلمهم، والسنة النتمون الى تنظيم الدولة الإسلامية يقتلون ويموتون من أجل قضيتهم. لكن لا أحد يبدو مستعداً للقتال من أجل العراق». ولذلك، يستنتج زكريا «ان المشكلة الحقيقية لا تكمن في انهيار الجيش العراقي، بل في انهيار العراق».

يشارك الكثير من المعلقين زكريا قناعتهم، بل كل من شهد انهيار الجيش في الموصل وانسحابه في الرمادي، وفي المقابل، الالتزام العسكري والعقائدي للقوات المنضوية في «الحشد الشعبي»، لا بد أن يكون على الأقل قد طرح أسئلة من قبيل: لماذا تبدو الميليشيات أكثر استعداداً للقتال من القوات النظامية؟ ولماذا منحت قنوى السيد السيستاني الحشد الشعبي شرعية لم تتمكن الحكومة العراقية من منحها لجيشها؟ هل يمكن تفسير الأمر وفق البدء الخلدوني عن دور العصبية في صناعة الغلبة العسكرية؟ أم الاكتفاء بالتفسيرات التي تعطى في النصوص المعنوية بالاستشارة السياسية والتي تركز على قلة عدد الضباط العنيين، والتسييس العالي للمؤسسة العسكرية، والفساد المتفشى فيها؟

الصراع على الجيش

هناك تناقض بين مطالبة الجيش بأن يكون «وطنياً» ومدافعاً عن العراق، وبين المطالبة جعله ممثلاً للشعبة والسنة والكرد في مؤسسة خاضعة لتوافق ممثلي «الطوائف». اظهر زكريا وأخرون الاستغراب تجاه «عدم وجود من يدافع عن العراق» يفترض خطأ أن «العراق» هو فكرة محايدة وليست خاضعة للصراع بدورها. يقدر أحد الخبراء ان بناء الجيش العراقي كلف الميزانية الأميركية 25 مليار دولار، كما ان حصة القوات المسلحة من الميزانية العراقية بلغت في العام 2014 ثلاثة أضعاف قيمتها في العام 2004، لتصل الى حوالي 6 مليارات دولار. مع ذلك، فإن هذا الجيش، ربما باستثناء القوة الخاصة لمكافحة الإرهاب، يبدو في نظر الكثيرين قوة غير جديّة على الأرض. ما زالت المعلومات عن الظروف الداخلي للجيش وطبيعة اتصالاته وبنيتها الداخلية ومدى اختراقه.. شحيحة، ومعظم لجان التحقيق التي تم انشاؤها منذ سقوط الموصل لم تقدم بعد أي تقارير مهمة، ولا يُحتفل لها ان تخرج بدورها من طور التسييس والسطحية و «الطوائف» أحياناً. لكن ما يمكن استخلاصه من العليقات القليلة المتوفرة، ومن الجدل الذي يحيط بما حدث، هو أن الجيش العراقي الحالي لم يتشكل بنية أن يكون مؤسسة فعّالة في المواجهة مع تمرّد من النوع الذي يقوده داعش، بل انه كان الى حد كبير ساحة صراع سياسي عميق.

بعد سقوط نظام صدام حسين، طرحت فكرة تشكيل جيش مهني ومحايد وغير سياسي، لكن الفكرة بدت منغلطة الى حد كبير عن الواقع الصراعي الغمغم بعدم الثقة والزعزعات الأتيمرية. لا يقتصر الأمر على غياب الثقافة السياسية الداعمة لثل هذه الفكرة، بل وأيضاً يخص قوة وتحذر الفكرة النقيضة، القائلة بأن من يسيطر على الجيش يسيطر على الدولة، وهذه الفكرة ترجمت الى تنافس على مستويي الصراع اللذين شهدهما العراق منذ العام 2003: مستوى الصراع بين القوى الخارجية حول صناعة الوثيقة السياسية والعقيدة العسكرية لـ «العراق الجديد»، ومستوى الصراع بين القوى الداخلية



ضياء العزاوي - العراق

للفنّ، وتسييس غايته كسب ولاء تلك المؤسسة أو بعض منظوماتها أو أفرادها. تصارعت زعرة «امتلاك» الجيش التي تفاقمت في زمن رئيس الوزراء السابق، مع زعرة «تقاسمه» عبر منطق الحاصصة، لينتج عن ذلك شل هذه المؤسسة وقدرتها على الفعل والمبادرة، كما الحال مع معظم مؤسسات الدولة العراقية، ولكن على نحو أخطر.

الحشد في مقابل داعش

لم تنه سيطرة تنظيم داعش على عدد من المدن العراقية هذا الصراع، بل فاقمته، فالرؤية الأميركية القائلة بضرورة تشكيل قوات سنية للحرس الوطني تتولى دور تحرير تلك المناطق ومسك الأرض فيما، عبرت عن رغبتين: الأولى، تكريس النظام التوافقي القائم على مأسسة الهويات الأثنية والطائفية، باعتباره السياق الوحيد — القبول والفهم امريكياً — لفكرة الشراكة. والثانية، حصر النفوذ الإيراني في اطرافه الشعبي ومنعه من التوسع خارج حدود هذا الاطار. الدعوات الأميركية لإعادة هيكلة الجيش جاءت في

هذا السياق، بوصفها محاولة لإعادة النفوذ الأميركي وتحديد طبيعة الجيش وعقيدته العسكرية. في المقابل، برزت قوات الحشد الشعبي ليس فقط بوصفها «ظهيرا» للجيش، بل ويقدر أكبر كبدل هدفه مواجهة داعش بقوة شعبية مضمونة الولا، وبيّن عقيدتي ينتمي الى التقاليد الايديولوجية للشعبية السياسية، وينسجم مع المصالح الإيرانية. وأمام هذا التنافس، كان من الطبيعي أن يفقد الجيش، أكثر وأكثر، قدرته على أن يتحول الى قوة جديّة على الأرض، لأنه لم يعد يمثل مصالح واضحة، وشرعيته تتعرض الى الطعن من جانب من يصفه بأنه جيش «طائفي» شعبي، كما من جانب من يصفه بأنه حليف محتمل للأميركيين.

في العام 2008، نشر باحث اسمه مايكل رير، كتاباً عن الصراع الأثني في العراق، جادل فيه بأن التدخل الدولي بعد انتفاضة العام 1991 في كردستان كان خياراً سيئاً، وأنه من الأفضل ترك الصراع ليحسم لصالح الجماعة الأقوى، لأنه مهما كانت أعداد الضحايا في هذا الصراع، فإنه سيكون أقل تكلفة من عدم حسمه «من

الخارج». بالمثل، تظهر بعض الأصوات المطالبة اليوم، صراحة أو ضمناً، بترك الصراع الراهن يحسم لصالح الطرف الأقوى. أخذت هذه الفكرة تنتقل من حيزها الأكاديمي الى الجدل المتعلق بالخيارات السياسية، حيث ظهرت أصوات تعتقد انه ليس من مصلحة الغرب دعم «الحشد الشعبي» ما دام قوة غير موالية سياسياً وايدولوجياً له، وأن أي منتصر في هذا الصراع لن يكون بأي حال صديقاً للغرب.

وإن كانت الحكومات الغربية لا تتبنى هذا الموقف صراحة، فليس سرا أنها لا تمتلك موقفاً ودياً تجاه «الحشد الشعبي»، وتحتفظ على مشاركته في القتال، خصوصاً في المناطق ذات الغالبية السنية. وقد فهم هذا الموقف الغربي لدى قطاعات عراقية واسعة بأنه يجسد «دعم أو تساهل الغرب مع داعش»، وهو ما غذى أيضاً نظريات شعبية واسعة الانتشار عن أصل هذا التنظيم. وبالتالي، تعمق الانقسام حول سبل مواجهة داعش، وهذا يعيد بقوة طرح السؤال: هل يمكن للعراقيين أن يواجهوا داعش كعراقيين، لا كسنة وشيعة؟ وهل يمكن لهذه المواجهة أن تصنع عقيدة عسكرية مستقلة لجيش عراقي يحدد العدو والصديق وفق ظروف البيئة العراقية، لا بناء على خيارات الآخرين؟ لم تحسم بعد الإجابة على هذه الأسئلة، وكلما تأخر ذلك كلما بدا الطريق لمرحلة ما بعد داعش أكثر تعقيداً.

الجيش والهوية

تعيش منطقتنا صراع هويات عميقاً اليوم، وهذا النوع من الصراعات مرتبط بحالة الكيانات غير المحسومة، اي الكيانات التي لم تُحدّد وجودها الوطني بعد، وتختلف فيها المفاهيم حول تحديد معنى الوطن و«أساطيره المؤسسة». لا تشتغل «الوطنية» في هذا السياق كفكرة محايدة على الطريقة الشعراعية السطحية السائدة في التفكير الشعبي عن الأخوة بين الجماعات، بل هي تتشعب كموقف سياسي ذي حمولة ايديولوجية وانحياز ثقافي محدد.

ان الجيوش القوية اليوم كلها تقاتل في سبيل «الوطن» والميثولوجيا المتصلة به. ومهما كان تعقيد وعقلمنة تلك المؤسسات، فان الشحن اللاعقلاني هو جزء من نشاطها في التعبئة والصراع. بهذا المعنى، ليس هناك جيش هو في «جيناته» أكثر اخلاصاً من غيره، بل هناك جيش تقف وراءه هوية مستقرة وغير خاضعة للتحدي، وجيش يفنقر لتلك الهوية. وإخفاق مؤسسة الجيش في العراق هو تعبير عن غياب صيغة مهيمنة «للوطنية العراقية»، في الوقت الذي لم تُثبت الصيغة التفاوضية بعد قدرتها على تقديم بديل مختلف.

لذلك، يبدو ضعف الجيش في العراق تعبيراً عن مشكلة أعمق، فحتى تكتمل صيغة لوطنية عراقية جديدة، أكثر تماسكاً وأوسع شرعية، أو تنشأ صيغ لأوطان بديلة، سيكون من الصعب المؤسسة عابرة للجماعات أن تنشأ وتكسب المشروعية في عيون هذه الجماعات جميعاً، بل وتتسع لاحتكار العنف «الشرعي» في داخل حدود البلد. ويمتدق المدرسة الواقعية، فان الجيوش الفعالة تكتسب قوتها وشرعيتها عبر الصراعات التي تخوضها، لا عندما تصبح هي نفسها موضوعاً لصراع وتنافس الآخرين، كما هو حال الجيش العراقي.

حارث حسن

باحث من العراق

حَسَنَة في رمضان

قبيل «تبينَ مقاتلا، و«سلاماً من الميدان»، وهي لا تمارسها كثرة دعاية بل تضعها موضع التطبيق، فتحضر في قطاع غزة أثناء عدوان الصيف الماضي (بالمناسبة، كان في رمضان، لتسهيل عمل الجنود الإسرائيليين وتشجيعهم وإحاطتهم بالرعاية.

أوراجح لديها 30 مليون مشترك في مصر لوحدها، عبر شركة «موبينيل» (98.9) في المئة من أسهمها ملك مباشر لأوراجح. وهذا يفوق عدد مشتركها في بلدها، فرنسا (27 مليوناً)، وللشركة حضور في تونس والأردن والمغرب. وأما عدد مشتركها في إسرائيل فلا يصل الى 2.5 مليون مشترك، وهي لا تريد، أو لا تجرؤ على الانسحاب من شراكتهما مع «بارتنرز» الإسرائيلية بينما تعريف رأس المال هو الحرص على الربحية.. أو أنها لا تؤمن بأن تلك الجموع العربية التي تمتلك اشتراكات لديها. ستقدم على أي شيء. ترى فيهم خرفاناً. وهذا بيت القصيد: أثبتوا يا قوم إرادة ما وقدرة على الفعلية، وهو الطريق إلى سوى أوراجح.

يمكن، بلا خطر التعرض للموت أو الاعتقال أو المساءلة (وهذه الضمانات صارت هنا رفاهية عظيمة)، وحتى بلا كلفة مادية، اللهم سوى دقائق لإجراء إلغاء الاشتراك، وربما قروش يُقدّموا على حسنة كبرى بمناسبة حلول رمضان: أن يقاطعوا شركة «أوراجح» لأنها شريكة لشركة «بارتنرز» للاتصالات في إسرائيل. هذه الأخيرة لديها برامج من



حليم قاسم - لبنان

الأسفل عوض أن يرتقي. ومثل هذا الرمضان لا معنى له. وقد حان الوقت لتفادي الصورة الرمضانية التي يظهر عليها الميثيمون بالفضائل والحلويات (الشباكية، البغبرير...)، وجعل هذا الطقس اختياراً لا يحتاج للاستعراض واللباهة. فالقديسون كانوا يهدون للكهوف والغارات ليصوموا لا ليتجشأوا. ولم يكونوا بحاجة لإعلان تقواهم.

محمد الناجي

مؤرّج وأستاذ السوسيولوجيا الاقتصادية في جامعة محمد الخامس، الرباط

رمضان ولى وأدبر

تلتبس كلمة «رمضان» بمعنى العذاب فهي مشتقة من الرمضاء أي شدة الحر، فهو معاناة في وسط صحراء تحترق بلهب الشمس، مما يصرفنا للقول بأن الصيام لم يكن منذ بداياته الأولى طقساً ممتعا، لكن هذا العذاب لم يكن له معنى إلا مع اقتارانه بمبدأ الاختيار، ويهدف جليل هو الرغبة في التسامي نحو الله، وارتقاء الروح المؤمنة به حقيقة ومجازاً. فالجسم يتخفف من غذائه المعتاد لينتدئ بأحاسيس روحانية ترتقي جسرا يربطه بأفق السماء، وحينما يفرض الإنسان على نفسه هذا الحرمان يتخلص من شروط إنسانيته، ليحوي إمكانية أخرى ويطوف بها لتحضره الرؤيا، وينفذ

ملف

سوسيولوجيا العزلة: ميراثُ الحرب في سوريا



«الملجأ الأخير» - محمد جحا/فلسطين

الجهادية السنيّة بمعناها الراديكالي الدقيق، حتى وإن تقاسم هذا الأخر مع جيش الإسلام نصيبه من الصراع مع نظام دمشق. فرأينا كيف لم تصمد كتيبة يوسف العظمة، التي حملت قبلاً اسم فدائي بني معروف طويلاً ضمن اشتراطات تلك المعادلة الإنفاضية الشاقة. توثيقُ ذلك جاء حين أعلن قائدها حسام ديب، المنتمي إلى الطائفة الدرزية في مطلع نيسان / أبريل من العام 2014 تعليق الأعمال القتالية للكتيبة في الغوطة الشرقية، بعدما انسحبت من المجلس العسكري، وباعت معظم أسلحتها لتأمين القوات اليومية لقاتليها، دافعةً بذلك ضريبة ابتعاد معظم مكوناتها عن فكر العقيدة الجهادية لجيش الإسلام. تلك الضريبة يمكن إعادة معاينتها في عزلة مركبة وقاسية عاشتها عناصر تلك الكتيبة ذات الغالبية الدرزية قبل أن تستنطق حياة العماش على حفاف الصراع اليومي الدائر بين جيش «النظام»، وجيش «الإسلام».

قبلاً، طاولت تلك العقيدة الإنفاضية الأخر المختلف لا دينياً بل سياسياً، عن العناوين الجهادية العريضة لجيش الإسلام الذي صار مهيمناً على تلك الأصقاع بفعل قوة الأمر الواقع، فبمداثة شهر كانون الأول / ديسمبر من العام 2013 بمخال قافع آخر على تلك الإنفاضية، حين تم إغلاق مركز توثيق الانتهاكات في سوريا الكائن بدوما، واختطاف القائمين عليه: ناظم حمادي، وسميرة الخليل، ووائل حمادة، وروزان زيتونة. الإبعاد حمل بشقّه الرمزي إنهاء الحالة المدنية للثورة، وتمكين الفكر الجهادي بدلاً منها فوق الأرض، فلم ينفذ تحميل 46 منظمة دولية لجيش الإسلام وزعيمه زهران علوش مسؤولية جريمة الاختطاف في التخفيف من جلافة القتل الرمزي للحراك المدني وطى صفحاته في الغوطة الشرقيّة. تلك الحادثة كانت بحق الحلقة الأخيرة التي أغلقت سلسلة عزلة مركبة قلباها الطرادان كانا التكفير السياسي للنظام، والتكفير الديني لجيش الإسلام..

العزلة بدلاً من «داعش» والنظام

المعارضة السورية غير المنتمية إلى السلاح توسّدت عزلتها على مراحل، تحسست أزمتها الجديدة في بؤرة الصمت، لايت تتفحص تفاصيل جغرافيا الصراع، متحبيّةً فرص اكتشاف التطابق بين مذاق القمع الذي تنتجه السلطة القائمة، وبين الذي تنتجه المعارضة الإسلامية المسلّحة، ثم صار ينتجه «داعش» منذ تمدد داخل الجغرافيا السوريّة.

في الرقة ودير الزور حيث انتقلت السلطة من نظام الدولة الأمنية ودولة

تغفو سوريا في عزلتها، منهكة بين أصفاد الحرّ. في ساعات ما بعد الظهر، تلوذُ البلاد وراء أصوات مولدات الكهرباء المربوطة إلى مراوح تهشّ حرارة الهواء العالق بالوجوه.

الحياة صارت تجيء كبثٌ لأذاعي رديء الإشارة، محمول فوق مَحفة من ترددات قاتمة، تبدأ من رغيّف الخبزِ بلونه الجديد، الأسمر، بخميرته الجديدة، خميرة الحرب الفاسدة، لتمر بـفوبيا «داعش»، التي تساوي تقريباً فوبيا «تجميع الطحين» حتى في المناطق العادئة، حيث لا يزال فيها جسد السلطة معافي، ثم تصل إلى بيانات تمبوية تشبه بيان «إلى السلاح.. إلى السلاح»، في غفلة عين تضمو مخاريس جديدة، تنعقد بسرعة صفقات شراء السلاح الخفيف، ترتفع رايات الدفاع مستبقة زحف الهجوم الإنفاضي. سوريا صارت مثل مرض نفسي لا شفاء منه إلا بمغادرتها. وسوى ذلك ثمة المنملون في لحم كوميديا الصراع العسكري، وثمة الفارون من الجبهات المنتمية إلى تخوم العزلة الباردة، ميرانهم الوحيد من دولة الحرب.

الديكتاتورية بدلاً من الديكتاتورية

انتهى الحراك المدني وجاء العسكر، وجوه من الطرفين أزاحت تدريجياً حرارة الأصوات التي تنحّدت في المناطق الثائرة، هاتفة لإسقاط الديكتاتورية الحاكمة، أو تلك التي عاندتها وتعلت في مناطق أخرى مهلّلة لبقاء النظام القائم. بذلك تكون قد انتهت مرحلة، وبدأت أخرى. شوط نزال صوتي انعقدت حياته من الهتافات الراضة للنظام، أو من الهتافات الموابية له. سرعان ما استبدله الواقع المتغيّر بشوط نزال آخر شرطه الموضوعي حمل السلاح، وقد تُسعفنا الأشهر الأخيرة من العام 2013 في فهم التغيّرات البيئوية الحادة التي لحقت بجسم الحراك المدني، فغيرت هويته ومكوناته الأئمة إلى أخرى أكثر التباساً ومراوغة. ففي شهر أيلول / سبتمبر من العام نفسه صار محمد زهران علوش الرجل الأقوى في الغوطة الشرقية بعدما أخرج وأخرين مرسوم عفو ورئاسي من سجن صيدنايا في حزيران / يونيو من العام 2011. لقد تربّع على قيادة 43 لواء وكتيبة وقصيلاً أنتج دمجا تنكيكياً ما صار يعرف باسم «جيش الإسلام»، القوة صاحبة النفوذ الحقيقي في مناطق الغوطة الشرقية، والتي سرعان ما استلهمت من النظام الذي تُقارعُ الحسُ الإنفاضي. طرحه بلا تردد الأخر المختلف عنما من حسابات الواقع الجديد، فحيدت بذلك كل ما يُخرّج عن عبادة السلفية

«العدالة الاجتماعية والانتفاضات العربية»

معوقات الإصلاح

أدى الربيع العربي على العموم إلى تغييرات مهمة، لكنها ليست جسيمة من حيث تحسن القضايا المتعلقة بالعدالة الاجتماعية في المنطقة. ومن الواضح أن هناك ومصر، نجد أن الإحباط الناجم عن غياب التغيير قد تصاعد بشكل واضح، ويبدو أن الجماهير العربية تربط كثيراً فشل الإصلاح بضروب النفوذ الدولي.

منذ عهد الاستقلال، كان للصراع الدولي والتدخل الأجنبي تأثيره الكبير في المنطقة. كما كان للصراع مع إسرائيل دور بارز في أيديولوجيات العديد من الزعماء، وقد وفرت للسلطويين منهم المبررات لحرمان مواطنيهم من بعض الحقوق المدنية. وفي هذه الأثناء، عززت المساعدات العسكرية الخارجية جهاز القمع في الديمقراطى الشامل والفتوح.

على الحدود مع إسرائيل أن الصراع العربي الإسرائيلي يشكل عقبة كبيرة أمام الإصلاح السياسي في بلدانهم. ويوافق أكثر من الثلثين في فلسطين (84 في المئة)، ومثلهم في لبنان، و(76 في المئة) في الأردن، و(68 في المئة) في مصر على أن هذا الصراع يجعل التغييرات السياسية تحدياً أكبر. وعلى الرغم من التغييرات التي نجمت عن عقبة كبرى العربي، لم يتغير هذا التصور بشكل كبير في أي بلد على الحدود مع إسرائيل.

في البلدان التي لا حدود لها مع إسرائيل، تقل نسبة الذين يرون الصراع عقبة أمام الإصلاح. فهذا التصور أقل انتشاراً في تونس (54 في المئة) واليمن (51 في المئة)، يليهما المغرب (40 في المئة) والجزائر (33 في المئة). غير أن اعتبار الصراع مع إسرائيل عائقاً أمام الإصلاح يتزايد بشكل كبير في هذه البلدان. ومن عام 2011 إلى

الذين يرونه عقبة في طريق الإصلاح، في حين زادت هذه النسبة 19 نقطة في الجزائر و17 نقطة في اليمن.

تحدث الأثار التي يمكن أن يتركها التدخل الأجنبي في أفق الإصلاح قلقاً لدى مواطني المنطقة يفوق حتى القلق الناجم عن الصراع العربي الإسرائيلي. ففي جميع البلدان، يرى النصف أو أكثر أن التدخل الخارجي عيق أمام الإصلاح. ولبنان (91 في المئة) هو الأكثر قلقاً حيال القوى الخارجية. ويرى ثمانية أعشار الفلسطينيين هذا الرأي نفسه، الأمر الذي لعله يعكس الدور الكبير الذي تلعبه الجهات الخارجية الفاعلة في السياسة الوطنية.

كذلك يرى المواطنون في بلدان أخرى أن التأثيرات الخارجية تمثل عقبة أمام الإصلاح. ففي الأردن، يرى 78 في المئة هذا الرأي، شأنهم شأن ما في المئة في مصر واليمن. وينخفض هذا القلق نوعاً ما في بلدي المغرب العربي الآخرين، حيث يرى 66 في المئة في الجزائر و51 في المئة في المغرب أن النفوذ الخارجي هو عقبة في طريق الإصلاح.

على الرغم من نهج إدارة أوباما الذي يقوم نسبياً على عدم التدخل في حوادث الربيع العربي، فإن القلق حيال التأثيرات الخارجية أخذ في الارتفاع في جميع أنحاء المنطقة، ونسبة الجزائريين الذين يرون التدخل الأجنبي عائقاً أمام الإصلاح هي أعلى بـ25 نقطة في 2013 منها في 2011، ونجد زيادة مشابهة في تونس (+18) واليمن (+13). والأرجح، أن معظم هذه الزيادات هو بسبب جهات فاعلة إقليمية مثل قطر والإمارات العربية المتحدة والملكة العربية السعودية وإيران.. التي تلعب دوراً في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

الاستثناء الرئيس لهذا الاتجاه هو مصر حيث

16 مليون يمّني عل الأقلّ. أي ما يقارب ثلثي السكان، لا يحصلون على إمدادات المياه النظيفة ولا يتوفر لهم الصرف الصحي. وأعلنت منظمة «أوكسفام» أن تصاعد القتال ونقص الوقود أدّى إلى حرمان 3 ملايين يمّني إضافي من مياه الشرب، وتهتدهم بذلك جدياً أمراض كاللاريا والكوليرا. أعداد المعتقلين».

احتلت محافظة القاهرة أعلى القائمة لتسجيلها 60 حالة، وبعدها كفر الشيخ 31 حالة والجيزة 16 حالة. بينما سجّلت هيئة التوثيق والرصد بـ «المركز المصري للحقوق والحريات» 617 حالة اختفاء قسري منذ أوائل العام الجاري.

من آخر الحالات المسجّلة إسرائ الطويل وصديقاها صهيبي سعد وعمر علي. لم تكن إسرائ منتمية إلى أي تنظيم حزبي، وهي تعمل كمصورة حرّة وتدرس الفلسفة. في الأول من حزيران/ يونيو خرجت بمساعدة صديقها (فقدت قدرتها على الحركة العام الماضي بعد إصابة في عمودها الفقري أثناء تغطيتها لتظاهرة لإخوان)، وقبض عليهم، وفق تقارير تحدّثت عن «جملة أمنية عشوائية». ضجّت وسائل التواصل الاجتماعي بقتنهم، وتحدّثت أكبيدات غير رسمية عن وجود الشابين في سجن استقبال طرة. لكن هذا لا يعني شيئاً، ما داما لم يظهرأ بعد، ولا وجود لأوراق رسمية تُفيد بإمكان احتجازهم. مدير مكتب الشكاوى بالمجلس القومي لحقوق الإنسان صرح لصحيفة «التفراق» البريطانية أن «أرقام المعتقلين مرعبة.. ولعلنا نوصي الحكومة بتبني سجون جديدة لمواكبة زيادة أعداد المعتقلين».

في الوقت نفسه الذي يضع فيه المصريون بحثاً عن ذويمهم الذين يخفقون تبعاً في ظروف غامضة، لا يخرج أي تعليق من وزارة الداخلية المصرية عن الموضوع. أصدر «الرصد المصري للحقوق والحريات» تقريره الثاني الذي يقول إن 510 قرارات وقوانين مخالفة لمبادئ ومعايير حقوق الإنسان أقرت ونُشرت في الجريدة الرسمية في مصر منذ الأول من تموز/ يوليو 2013 وحتى نهاية أيار/مايو 2015. توزعت كالآتي: 103 قرارات وقوانين صادرة من رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء، 185 من وزير الداخلية، 221 قراراً من وزير العدل وقرار واحد من النيابة العامة. وذكرت وحدة رصد انتهاكات القرارات والتشريعات أنه بين أهم القرارات والقوانين التي صدرت خلال العامين الماضيين، والتي أثّرت تأثيراً كبيراً على الحريات العامة وحقوق الإنسان في مصر كان «إصدار إعلان دستوري يمّني على بيان إعلامي صادر من القيادة العامة للقوات المسلحة»، كذلك «التعديلات التي أدخلت على قانون الإجراءات الجنائية والتي جعلت الحبس الاحتياطي طويل الدة ومن دون سقف زمني»...

ومن القرارات المذكورة لناحية تأثيرها على حقوق الإنسان «تحويل أماكن الشرطة والأقسام إلى سجون»، و «جعل الأماكن التابعة لوزارة الداخلية أماكن لانعقاد جلسات المعتقلين، سواء كان تجديد الحبس أو المحاكمات». هذا نظام داخل بمرحلة قطع الأعناق، ولم يعد يكثر بالوسيلة ويمدى قانونيتها. عمليات الإخفاء القسري - أي الاعتقال بطريقة الخطف والتي يمكن أن تنتهي بالتصفية السرية، بدون محاكمات ولا أحكام- تستحضر سجلات حاقة كان أشهرها، وربما آخرها، ما قامت به أنظمة الكولونيالات في أكثر من بلد من أميركا اللاتينية. فهل هذه وجهة مصر اليوم؟

أيمّن الشوفي
صحافي من سوريا

فكرة

عن قطع الأعناق

163 حالة إخفاء قسري أو احتجاز من دون تحقيق تمّ رصدها وتوثيقها في مصر في 22 محافظة منذ شهر نيسان/ أبريل 2015، بينها 66 حالة إخفاء قسري وفقاً للمعايير الدولية، و31 حالة من دون متابعة، و64 حالة إخفاء قسري منتهية حيث تمّ التأكد من ظهور المعنيين لاحقاً بعد مرور أكثر من 24 ساعة على احتجازهم من دون وجه حقّ، حسب صفحة «الحرية للجدعان» (مجموعة من المحامين المتطوعين) التي حدّدت مصادرها بدقة.

احتلت محافظة القاهرة أعلى القائمة لتسجيلها 60 حالة، وبعدها كفر الشيخ 31 حالة والجيزة 16 حالة. بينما سجّلت هيئة التوثيق والرصد بـ «المركز المصري للحقوق والحريات» 617 حالة اختفاء قسري منذ أوائل العام الجاري.

من آخر الحالات المسجّلة إسرائ الطويل وصديقاها صهيبي سعد وعمر علي. لم تكن إسرائ منتمية إلى أي تنظيم حزبي، وهي تعمل كمصورة حرّة وتدرس الفلسفة. في الأول من حزيران/ يونيو خرجت بمساعدة صديقها (فقدت قدرتها على الحركة العام الماضي بعد إصابة في عمودها الفقري أثناء تغطيتها لتظاهرة لإخوان)، وقبض عليهم، وفق تقارير تحدّثت عن «جملة أمنية عشوائية». ضجّت وسائل التواصل الاجتماعي بقتنهم، وتحدّثت أكبيدات غير رسمية عن وجود الشابين في سجن استقبال طرة. لكن هذا لا يعني شيئاً، ما داما لم يظهرأ بعد، ولا وجود لأوراق رسمية تُفيد بإمكان احتجازهم. مدير مكتب الشكاوى بالمجلس القومي لحقوق الإنسان صرح لصحيفة «التفراق» البريطانية أن «أرقام المعتقلين مرعبة.. ولعلنا نوصي الحكومة بتبني سجون جديدة لمواكبة زيادة أعداد المعتقلين».

في الوقت نفسه الذي يضع فيه المصريون بحثاً عن ذويمهم الذين يخفقون تبعاً في ظروف غامضة، لا يخرج أي تعليق من وزارة الداخلية المصرية عن الموضوع. أصدر «الرصد المصري للحقوق والحريات» تقريره الثاني الذي يقول إن 510 قرارات وقوانين مخالفة لمبادئ ومعايير حقوق الإنسان أقرت ونُشرت في الجريدة الرسمية في مصر منذ الأول من تموز/ يوليو 2013 وحتى نهاية أيار/مايو 2015. توزعت كالآتي: 103 قرارات وقوانين صادرة من رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء، 185 من وزير الداخلية، 221 قراراً من وزير العدل وقرار واحد من النيابة العامة. وذكرت وحدة رصد انتهاكات القرارات والتشريعات أنه بين أهم القرارات والقوانين التي صدرت خلال العامين الماضيين، والتي أثّرت تأثيراً كبيراً على الحريات العامة وحقوق الإنسان في مصر كان «إصدار إعلان دستوري يمّني على بيان إعلامي صادر من القيادة العامة للقوات المسلحة»، كذلك «التعديلات التي أدخلت على قانون الإجراءات الجنائية والتي جعلت الحبس الاحتياطي طويل الدة ومن دون سقف زمني»...

ومن القرارات المذكورة لناحية تأثيرها على حقوق الإنسان «تحويل أماكن الشرطة والأقسام إلى سجون»، و «جعل الأماكن التابعة لوزارة الداخلية أماكن لانعقاد جلسات المعتقلين، سواء كان تجديد الحبس أو المحاكمات».

هذا نظام داخل بمرحلة قطع الأعناق، ولم يعد يكثر بالوسيلة ويمدى قانونيتها. عمليات الإخفاء القسري - أي الاعتقال بطريقة الخطف والتي يمكن أن تنتهي بالتصفية السرية، بدون محاكمات ولا أحكام- تستحضر سجلات حاقة كان أشهرها، وربما آخرها، ما قامت به أنظمة الكولونيالات في أكثر من بلد من أميركا اللاتينية. فهل هذه وجهة مصر اليوم؟

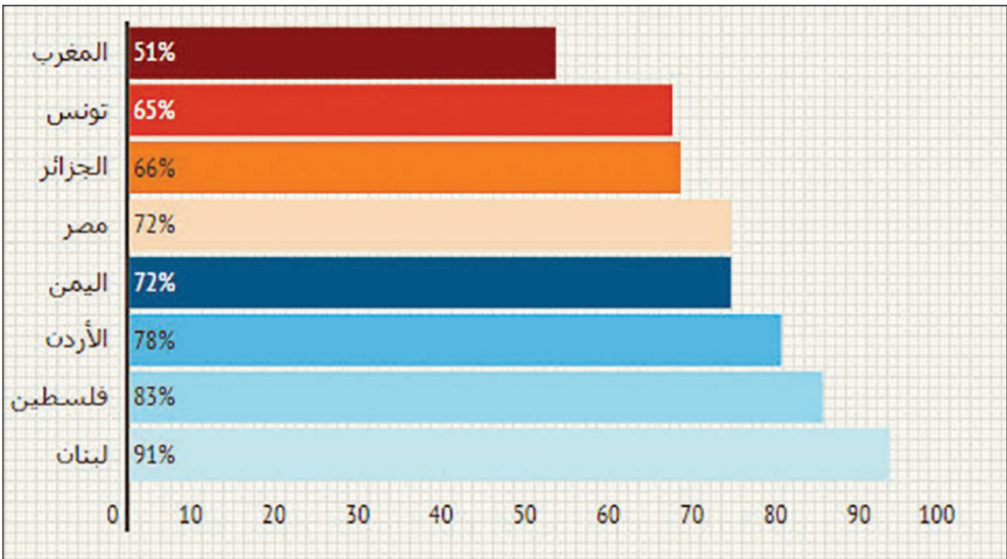
زينب ترحيني

الناجحة التي تعالج ضررب عدم المساواة سيرورة طوبلة، لكنها ضرورية لتحقيق الحكم الرشيد والاستقرار الديد في المنطقة.

قيد كل شيء، على الأنظمة أن تبدأ بمحاولة إعادة بناء الثقة بين الحكام والمحكومين. ومن الضروري أن يكون اعتماد الثقة هذا - الناجم عن عدم اكرتات المسؤولين بالاحتياجات الفردية، وبناء أجهزة فاسدة - دافعا إلى مزيد من الإصلاحات المهمة. كما إن إعطاء المواطنين دوراً أكبر في ما يتعلق بالكيفية التي يحكمون بها هو خطوة أولى مهمة في هذه السيرةورة. ومن حسن الحظ أن كثيرين يعتقدون بالفعل أن بمقدورهم التأثير في حكوماتهم. غير أن تمرير هذا التأثير عبر القنوات الرسمية يمثل تحدياً أساسياً.

بعد الانتفاضات العربية، أعطى بعض الأنظمة مواطنيه دوراً من خلال المشاركة في انتخابات حرة ونزيهة. ولا بد أن يحذو المزيد حذو المثال التونسي في احترام نتائج الانتخابات، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى تحسن في أفق العدالة الاجتماعية. وعلى سبيل المثال، فإن إقامة الأنظمة لمؤسسات حكومية فعالة هو ما يكفل تمكنها من البدء على نحو أكثر فعالية بمعالجة المشاكل الاقتصادية المديدة التي أدت إلى الركود الاقتصادي وعدم وجود فرص لكثير من المواطنين، خاصة الشباب.

« تشارك في البحث كلٌ من أماني جمال من جامعة برنستون ومايكل روبنز من «الباروميتر العربي»، وأصدره «برنالغ العدالة الاجتماعية وسياسات التنمية» في معهد عصام فارس للسياسات العاة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت، بالتعاون مع مركز مدوحة س. بوبست للسلام والعدالة في جامعة برنستون، بتمويل من مؤسسة إير ومدوحة بوبست في نيويورك. هنا الجزء السابع والأخير.



نسب القاثلين إن التّدخل الخارجي يعيق الإصلاح السياسي

انخفضت نسبة الذين يرون هذا الرأي 12 نقطة. ونظراً للدعم القوي الذي كانت تقدمه الولايات المتحدة للنظام مبارك، ومناهستها إجمالاً لأي تغيير، فإنّ مقاربتها القائمة نسبياً على رفع اليد في السنوات الأخيرة ربما تفسّر هذا الانخفاض. غير أن الخوف من أن تكون الولايات المتحدة تعمل وراء الكواليس، ومن تزايد نشاط الفاعلين الإقليميين الآخرين يعني أنه، على الرغم من التغييرات التي أحدثتها الثورة المصرية، فإن الغالبية العظمى من المصريين (72 في المئة) ما زالوا يخشون من

انخفضت نسبة الذين يرون هذا الرأي 12 نقطة. ونظراً للدعم القوي الذي كانت تقدمه الولايات المتحدة للنظام مبارك، ومناهستها إجمالاً لأي تغيير، فإنّ مقاربتها القائمة نسبياً على رفع اليد في السنوات الأخيرة ربما تفسّر هذا الانخفاض. غير أن الخوف من أن تكون الولايات المتحدة تعمل وراء الكواليس، ومن تزايد نشاط الفاعلين الإقليميين الآخرين يعني أنه، على الرغم من التغييرات التي أحدثتها الثورة المصرية، فإن الغالبية العظمى من المصريين (72 في المئة) ما زالوا يخشون من هذه المطالب على محلل الجد. وسوف تكون الإصلاحات تكشف استطلاعات الباروميتر العربي أنه كان هناك بعض التحسن في مستويات المساواة المدركة بعد الربيع العربي، لكن التحديات الكبرى باقية على حالها. وعلى الرغم من إبراز الربيع العربي احتياجات المواطنين وجلبها إلى الواجهة، يبقى على الحكومات أن تواصل أخذ هذه المطالب على محلل الجد. وسوف تكون الإصلاحات

650 مليون دولار هو حجم الأموال المصرية المهربة والمجمدة في البنوك السويسرية، وفق مدير إدارة القانون الدولي في وزارة الخارجية السويسرية، والذي أعرب عن استعداد حكومة بلاده لإعادتها إلى مصر وفق القانون بعد أن أصبحت عبئاً على النظام المصرفي. وكان الرئيس المخلوع حسني مبارك مع 30 فرداً من نظامه قد هربوا هذه المبالغ إلى الخارج.

«أ»، «ب»، «ج»، و «د»: حدود، خطوط، جدران، معابر، حواجز

أبجديات التنمية الفلسطينية من المركز إلى الأطراف



تصوير: خالد جزار - فلسطين

كلما يقطع مواطن فلسطيني مسافة تزيد عن بضعة كيلومترات بين بيته وأماكن عمله وتسوقه وزيارته للأصدقاء أو الأقرباء، فإنه يجتاز العديد من الحدود، بعضها ظاهرة وأخرى غير مرئية. وقد أصبح ذلك جزءاً من الحياة اليومية، يكاد يُغفل لولا الانفجارات والصدامات والتظاهرات التي تنتشب من حين إلى آخر عند نقاط التماس مع الاحتلال والجيش الإسرائيلي. فالحدود في فلسطين عديدة ومتنوعة. هناك «الخط الأخضر» (خط الهدنة لعام 1949 بين إسرائيل والضفة الغربية) حيث تواجد المعابر الأمنية الإسرائيلية الكبيرة في الطرق الرئيسية، تذكرنا اليوم بذلك الخط النسي. ثم الجدار الذي تم تشييده منذ 2002، جزئياً على الخط الأخضر وجزئياً داخل أراضي الضفة والقدس المحتلتين، بالإضافة للحدود غير المرسومة بين القدس الغربية «الإسرائيلية» والشرقية العربية المحتلة.

وداخل مغلف الجدار، هناك أيضاً حدود فعلية اتفق عليها في الخرائط في 1995 ضمن اتفاقيات أوسلو، لكنها غير ظاهرة، بين مناطق «أ» التابعة لولاية السلطة الفلسطينية مدنياً وأمنياً، ومناطق «ب» حيث تتحمل السلطة المسؤوليات المدنية بينما صلاحيات الأمن مشتركة مع إسرائيل، ووجود الشرطة الفلسطينية لا يلغي إمكانية تواجد ونشاط قوى الأمن الإسرائيلية. وأخيراً، يستوجب العبور من أية بقعة من منطقة «أ» إلى أخرى، تخطي الخطوط الفاصلة مع المناطق المسماة «ج» التي تشمل 60 في المئة من مساحة الضفة المحتلة والتي تتحكم فيها بالكامل السلطات والقوانين الإسرائيلية والمستوطنون. وحتى في أعماق مناطق «ج»، هناك حدود إضافية، عشوائية أو محددة بتواجد وتحرك المستوطنين ومعسكرات الجيش ومساحات التدريبات التي يحظر على كل فلسطيني دخولها بتاتاً (ما يمكن اعتبارها بمثابة مناطق «د»).

من مفارقات هذه الحواجز التي ترسم حيز حياة كل فلسطيني، انه في نظرة الخطط الاستعماري الإسرائيلي والمواطن الإسرائيلي على حدٍ سواء، ليست هناك أية حدود بين البحر والنهر؛ جميع شبكات الطرق والطاقة والاتصالات والمياه والصرف الصحي والاستيطان البشري تمتد من عمق أراضي إسرائيل المركزية شرقاً وجنوباً وشمالاً، من دون رؤية الفلسطيني العربي المقيم فعلاً هناك أو الاعتراك لاحتياجاتها/ها أو تطلعاتها/ها. كأن ليس لهم وجود في الجدران الإسرائيلية، طالما أن كل تلك الحدود تقيدهم وتخفيهم، بينما يتحرك الإسرائيلي كما يشاء وأينما ومتى يشاء.

مناطق «ج» المهمشة فلسطينياً ودولياً

ومع كل ما يجسده النمو الاقتصادي والعمراني والحديثي في مدن المناطق «أ» و«ب» من مثال لا يمكن تحقيقه بفصل «السلام الاقتصادي» القائم بين السلطة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي، فإن الحالة المعيشية والاقتصادية لـ 300 ألف مواطن فلسطيني المقيمين في مناطق «ج» تمثل شهادة دامغة لدى الضرر الذي لحقته اتفاقيات أوسلو بإمكانية بناء اقتصاد «وطني» فلسطيني وجعله قاعدة صلبة لإقامة دولة مستقلة ذات جدوى. وتتميز المناطق «ج» بأهمية استراتيجية كبيرة، للعديد من العوامل قوامها الحيوية اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة الفلسطينية العتيدة، لعل أبرزها: أن جزءاً أساسياً منها يشكل حزام الحدود الشرقية لفلسطين التاريخية، واحتوائها على مخزون الموارد الطبيعية الفلسطينية، وتضمها لأغلب أراضي الضفة الغربية الزراعية، وتوفرها التواصل والربط الجغرافي الاجتماعي والمكاني، للضفة الغربية.

أكد تقرير عام 2013 الصادر عن البنك الدولي ما تناولته تقارير دولية وفلسطينية في سنوات سابقة، بأن تكلفة الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية عالية جداً ولها عناصر ثابتة ومتكررة، وخاصة فيما يتعلق بما يسمى بالفرض الضائمتة للنمو والاستثمار المحتمل في حال انهاء قيود الاحتلال وبسط سيطرة الاقتصاد الفلسطيني على جميع أراضيه ومفدراته الطبيعية والبشرية والاقتصادية. وهما اختلفت التقديرات، بين خسارة مقدرة بما يزيد عن 15 في المئة من القاعدة الإنتاجية (الأونكتاد، 2006) أو - 4 - 6 مليارات دولار كلفة الاحتلال السنوي (وزارة

الاقتصاد الوطني، 2010) أو تقديرات البنك الدولي بأن مناطق «ج» لوحدها يمكنها توليد 3.5 مليارات دولار (تقريباً ثلث الإنتاج القومي الفلسطيني الحالي) في حال أزيلت القيود الإسرائيلية، فإن الاستنتاج هو ذاته: السيطرة الاستعمارية الإسرائيلية هي العيق الرئيسي للنمو الفلسطيني للسد، والاحتلال العسكري هو الحرك الرئيسي لحالة «نكوص التنمية» الفلسطينية. كما أن الاهتمام الذي أعربت عنه الриаاعية الدولية في عام 2014 (خطة كيري الاقتصادية) بشأن احتمالات الاستثمار الخاص الدولي (بمقدار أكثر من 10 مليارات دولار خلال 10 سنوات) في القطاعات الاقتصادية الحيوية، بما في ذلك قطاعات تخصص بالدرجة الأولى مناطق «ج» (زراعة، طاقة، سياحة، اتصالات)، ثم إعلان السلطة الفلسطينية في السنة نفسها عن نيته إعداد خطة لتنظيم التدخلات التنموية في مناطق «ج» (من دون نشرها أو اعتمادها فيما بعد)، يؤكد على أهمية تلك المناطق من وجهة نظر مختلف الجهات والمستويات المحلية والدولية. ولكن من شأن عدم ترجمة هذا الاهتمام المعلن إلى أفعال أن تشكل تحدياً أكبر، حيث قد يولد توقعات كبيرة لدى الفلسطينيين والقاطنين في تلك المناطق المهمشة، تعجز السلطة والدول المانحة والمعهدون ستبقى على الأرجح تأملات لغد أفضل. ومن المهم ألاّ تحيد الأنظار عن الحاجة الملحة لتحقيق إنجازات ملموسة على الأرض اليوم إنقاذ الوضع الاقتصادي الكارثي في مناطق «ج».

ومع أهمية اعتماد نظرة بعيدة المدى للتعامل مع هذه المناطق اليوم، فإن الأهم هو التعامل مع القضايا المصرية المعيشة هناك، وفي مقدمتها الحفاظ على فلسطينية

الفلسطينيين، سكناً وبناءً وروحياً وزراعة وتنقلاً.

البقاء هو مقاومة

إن مواجهة التحديات الاستراتيجية في هذه المناطق تحتاج استديراكاً لأبرز ملامح «نموذج نكوص التنمية» والذي وُده الاحتلال الإسرائيلي المتواصل في هذه المناطق الخارجة فعلياً عن ولاية السلطة الوطنية، ولأهمية دور مختلف الشركاء في العمليات التنموية وقدرة كل منهم على التدخل الإيجابي والفعال في تلك المناطق، من خلال الإجماع على شعار «لا ضرر ولا ضرار»، وفي خضم الأحوال المعيشية الصعبة التي تسود في هذه المناطق، فإن الحدود بين ما هو إنساني وما هو تنموي ليست دائماً واضحة، والإصرار على تحديدها ليس مجدياً بالضرورة، مما يجعل من التدخل الإنساني عملاً تنموياً بقدر ما يعزز مقومات الصمود. وفي الوقت نفسه، فلا بد للاستثمارات الإنمائية أن تحمل طابعاً إنسانياً إذا كانت ستؤسس لتنمية مستقبلية مستدامة اجتماعياً وبيئياً.

ومن هنا ينبغي أن يركز هدف المعونة الإنمائية المقدمة في أوضاع غير يقينية، وحيث النمو ليس نتيجتها المضمونة، على عدم إلحاق الضرر بما هو قائم وحيوي، والتأقلم مع البيئة الخاصة بتلك المناطق، والتوجه لإسناد وتقوية النسيج الاقتصادي والاجتماعي الحالي، من دون محاولة إحداث تغييرات بنوية أو قانونية في ظروف متوترة وغير محسوم أمرها. كما من المهم توجيه الاستثمارات العامة والخاصة (المحلية والدولية) في مرحلة أولى في الاتجاهات التي تدعم الجدوى الاجتماعية والمصالح الحيوية الفلسطينية في تلك المناطق، قبل الشروع في البحث عن مجالات استثمارية ذات جدوى اقتصادية أو مالية ربما تستجيب أكثر للمصالح الاقتصادية الفلسطينية في مرحلة ما بعد الاستقلال.

وبرغم الصورة القاتمة للجزلة والتهميش والإهمال التي يعيشها أهالي الأغوار في مناطق «ج» خاصة، فإن هناك الأمثلة الفردية والجماعية الأملية لقصص البقاء والتحدى التي تبشر بمسقبل عربي/فلسطيني لهذه المناطق ويردلا رشيد صوافله ورفاقه من الأغوار ومتضامنين دوليين في «حملة إغاثة الأغوار» الرامية إلى تأمين التدخل السريع لمساعدة المجتمعات المحلية عندما تتعرض لعمليات إسرائيلية، من هدم منازل أو تلف مزارع أو تهجير قسري. ثم في صمود الزارع صغير القامة وكبير الحضور أبو رياض الملقب بـ «الزوبعة»، الذي يحتل تلة صغيرة مع عائلته على أراضيه في «حمصة»، بجدها حاجز الحمرء العسكري شمالاً ومستوطنة جنوباً، يتصارع مع قوات الاحتلال للحصول على المياه ولنزع مصادرة أراضيه الزراعية المحيطة. أما الشيخ «أبو صقر» (وأولاده وأحفاده 30) الذي يواجه بدوره حالة شح مياه الشرب والري بحلول مبدعة وجريئة، ويتحدى وجود البوابة الحديدية التي وضعتها السلطات الإسرائيلية لفصل أراضي البقيعة/الحديدية عن أصحابها وعن منطقة مستوطنة «رووي» المجاورة، والتي تفتح في أوقات محددة ومحدودة فقط. وهؤلاء وغيرهم بالئات من «حراس الأرض» يجسدون في بقائهم وإصرارهم على العيش بكرامة أرقى نماذج المقاومة والتنمية الفعلية على الأرض. وعليتنا استخلاص العبر منهم.

.. وهذه هي البشرية السارة من قلب فلسطين.

رجا الخالدي

متخصص في التنمية الاقتصادية، عمل لدى الأمم المتحدة

بين 1985 - 2013 ومقيم الآن في فلسطين

في انتظار عودة الوعي



أن الوعي ليس إنساناً. من قال إنه إنسان؟ نحن نعرف كل شيء عن الوعي. نحن نعرفه عن غوغل. نحن لدينا إنترنت أيضاً على فكرة.

- لا يا ستي، لا تسأليني متى. أنا لا أعرف متى، ولكنني أؤكد أنه بمجرد وصول الوعي اللازم سنبدأ في التجهيز للانتخابات.

- أنت تستفزينني. انتبهي لكلامك. أقول لك إن أحد زملائي يتناول حبوباً مهددة لأنه قلق من تأخر الوعي فتقولين لي إن الوضع مريح لنا، ما المريح لنا؟ أقول لك سرًا لم أكن أنوي قوله: هل تعرفين أننا يومياً نرسل أحداً من عندنا إلى مطار القاهرة ليسأل عن موعد وصول الوعي. هل تريدان أكثر؟

- نعم إلى مطار القاهرة. نسأل في كل بوابات الدخول. كل يوم نسأل عن موعد وصوله.

- (بابتسامه ساخرة) والله العظيم أنا أعرف

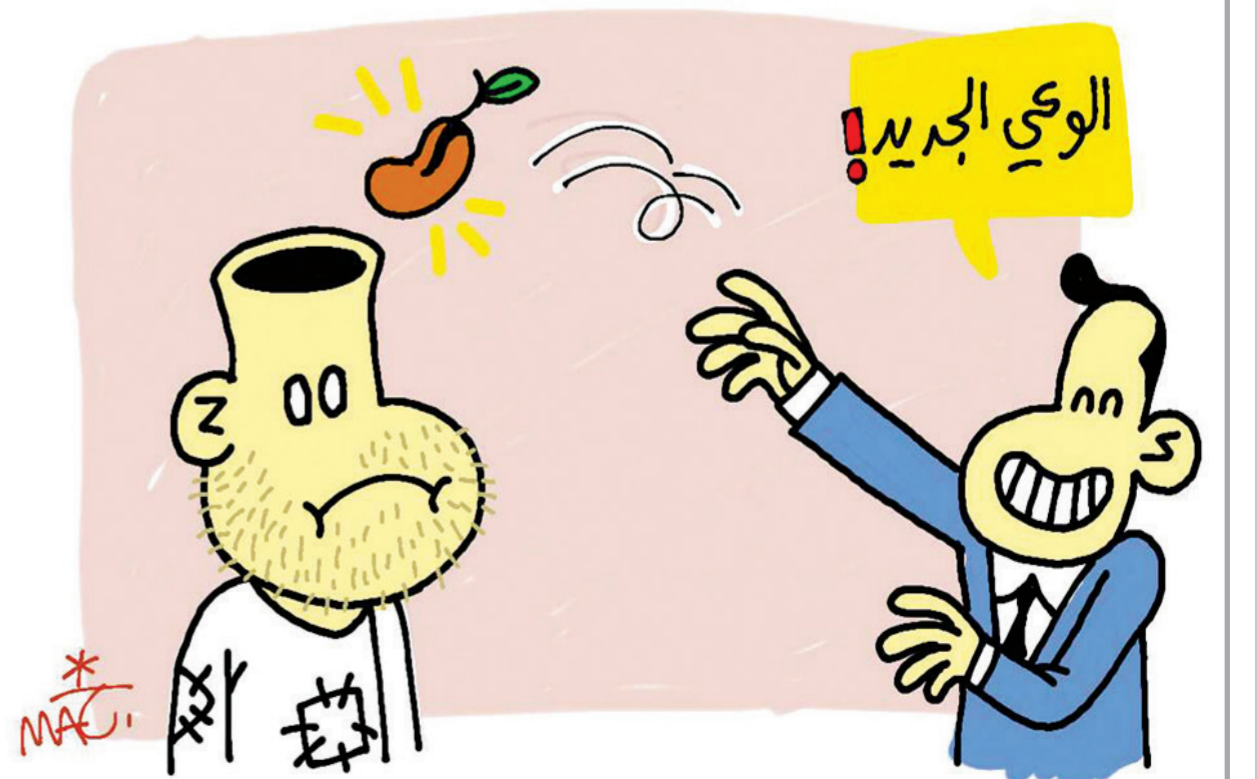
- نحن نريد انتخابات لمجلس الشعب، بالتأكيد نريد، ولكن ماذا نفعل؟ لا بد أن يتحلى الشعب المصري بالوعي أولاً ليتمكن من الاختيار.

- أهأهاها. فهمتيني خطأ تماماً. هل تعتقدان أننا نجلس في انتظار الوعي أن يأتي أو لا يأتي؟ أبداً. نحن نفعل كل ما في وسعنا.

- يعني نرسل رجالنا، نسأل، هل ازداد وعي الشعب المصري؟ يقولون أبداً. طيب، نسأل في اليوم الثاني، فيقولون أبداً. نحن نتابع الموضوع عن كُتب صدقيني.

- لا طبعاً. هل تصدقين أن لي زملاء يتناولون حبوباً مهددة. هم يصلون الليل بالنهار من أجل الأطمئنان على موضوع الوعي هذا. أجيبيني بصراحة، هل تأخر الوعي هذا مسألة طبيعية؟

- (بابتسامه ساخرة) والله العظيم أنا أعرف



بين الغش الأكبر والأصغر

تسريب أسئلة البكالوريا في المغرب

كانت الأجواء غاية في التوتر في الثانويات المغربية ظهر العاشر من الشهر الجاري. فتلاميذ الشعب العلمية يجتازون اختبار الفلسفة للحصول على البكالوريا، والسؤال كان «هل تتحقق العدالة بالمساواة الكاملة بين الناس؟». وسبب التوتر هو تسريب امتحان الرياضيات شعبة العلوم التجريبية في الصباح.

وقد عرف التلاميذ بذلك قبل دخولهم لفاعات الامتحانات، بفضل تداول الأسئلة على صفحات التواصل الاجتماعي. لذلك جاء عدد كبير من التلاميذ مسلحين بالأجوبة في جيوبهم، بينما يشتمكي الذين لم يعرفوا بالتسريب من هتك عرض المساواة الذي هتك مصداقية البكالوريا.

في الكثير من الثانويات بالدار البيضاء غادر التلاميذ الفاعات ودخلوا في جدل مع المراقبين بينما تدخل رجال الأمن لإقناع الغاضبين بإتمام الامتحان. وحصلت مواجهات نتجت عنها خسائر مادية وإصابات، ثم وصل أولياء التلاميذ إلى باب الثانويات للتنديد بما حصل.

فجأة صار 500 ألف متنحن والملايين من أفراد أسرهم في مواجهة مع وزارة التعليم. نزل الآباء والأمهات للشارع في تعبئة فورية عفوية غير مسبوقة، وساد الغضب والغليان. أخذت الوزارة وقتا لتعترف بما حصل، ووعدت باتخاذ الإجراءات المناسبة بينما حاولت السلطات امتصاص الغضب.

كان المشهد مهيئا للتلاميذ الذين بذلوا جهدا لنجاح، ما جرى لا يرجع للصدفة، بل فيه تقصير وإهمال واستخفاف بمشاعر الناس. شعرت بإهانة عميقة وأنا أتابع ما يجري، حتى ظننت أن شيئا مات في داخلي. وقد بدا لي أن التسريب لم يبدأ اليوم، ويبدو أن فاليسبوك عراه فقط. لذا يبدو لي أن مسرب الامتحان لا يريد أن يستفيد شخص معين بل يريد أن يثبت أن المنظومة التعليمية مخترقة ومفسلة. هذه رسالة قاسية، وحسب البوليس. فالواقفون وراء عمليات التسريبات، يطمحون إلى زرع اللبلة».

بفضل التسريب، خفت التعليقات ضد الغش الصغير الذي يمارسه التلاميذ، وتم التركيز على الغش الأكبر الذي اخترق الوزارة. وطبعاً، يحتاج التخلص من الغش الأكبر ماء أكثر مما يحتاجه الوضع الأكبر. وللتفيس عن الغضب، قال السائحون ان امتحان البكالوريا صار فرضاً منزلياً. وأضافوا أنه من حسن الحظ أننا لسنا وحدنا، ففي بكالوريا الجزائر سُببت قضية نزار قباني لمحمود درويش، لأن في سطرها الأول «شعراء الأرض المحتلة...» وقال المحررون الجادون «إن شبيبة حزب الاستقلال تدعو أطرها والمتعاطفين معها إلى تنظيم وتأيير ووقت احتجاجية». هذا عن أطفال الحزب، أما

رجال الحزب، فقد نعو التعليم العمومي المغربي. وكان يمكن الاستمرار في الإصغاء لصوت الناعي لولا أن وزير التعليم السابق ينتمي لحزب الاستقلال. لكن الواقعة لا حدود لها. من جهته صرح رئيس الوزراء عبد الإله بنكيران بأن ما وقع في امتحانات البكالوريا خيانة للوطن ومن فعل ذلك سيدفع الثمن، بينما طالب الكثيرون باستقالة الوزير فوعد بالتحقيق في تسريب أسئلة الرياضيات. هذا الوزير الذي قضى سنوات في قيادة «جامعة الأخوين» النخبوية وكان الجميع يتفنى بكفاءته، وجد نفسه في ورطة في إدارة التعليم العمومي المجاني. يتم تبرير وضع الوزير بسنة وقد تجاوز السبعين. للزمن حكمه.

هذا على المستوى السياسي، أما الخطير فيمس التلاميذ، فقد تناولت أخبار التسريبات. نشرت مواضيع امتحانات قديمة على أنها تسريبات. صحيح هناك تسريب واحد حقيقي وعدة تسريبات مزعومة، لكن الشك استوطن الرؤوس، وقد اضطر هذا مصالح وزارة التعليم لتعلن مرارا «تؤكد لعموم المواطنين والمواطنات، أن الموضوع المتداول لا علاقة له بالدورة الحالية، وأن ما نشر يتعلق بموضوع دورة سابقة». ولوقف الجدل، أعلن الوزير عن إعادة اختبار الرياضيات لشعبة العلوم التجريبية يوم الجمعة.

إن مرتكب جريمة التسريب يعرف دور الرياضيات في نجاح تلاميذ الشعب العلمية. فمعامل المادة يبلغ سبعة. لذا مسح خبر التسريب كل الأخبار الأكثر قراءة في المغرب، مثل رقص جيتيفير لوبيز بالتبأن في الرباط، وصور شابات «فيمن» عاريات في ساحة مسجد حسان، وفيلم نبيل عيوش عن الدعارة، واعتقال مليونين تبادل قبلا في ساحة مسجد حسان تشبها بقذوتهما. وطبعاً نسي خبر اكتشاف بيع جوزيف بلاتر لتنظيم كأس العالم 2010 إلى جنوب أفريقيا بينما كان المغرب فاز به... كل هذه المواضيع نسبت فجأة وصار التعليم موضوع الجدل.

يعتبر عدم الحصول على البكالوريا شتيمة، يسمى من وصل مستوى البكالوريا ولم ينجح فيها «نيفو باك»، وهو تعبير فرنسي تبخيسي دخل (niveau bac). والباك بوابة لكسب رزق دون جهد عضلي وبساعات عمل محددة، رزق قليل لكنه منتظم ومريح نوعاً ما. يمكن لحامل شهادة البكالوريا العمل في سوق ممتاز أو حارس أمن خصوصي للأذكار. أما في ما يخص الشابات، فأمامهن فرصة العمل مراقبات أطفال في مدرسة خصوصية، وهذا مجال هائل في ظل كثائر المدارس الخصوصية بشكل جعل أصحابها يستخدمون تسميات مركبة لأن التسميات الفردية نفدت: بعد مدرسة النور ومدرسة

السلام ظهرت مدرسة اسمها نور السلام... كان صباح الجمعة الذي تلى الواقعة استثنائيا في الثانوية. حضر الأساتذة مبكرا وكانوا متأنقين أكثر من العادة، طرح سؤال الرياضيات في درس الاحتمالات، وطلب من التلاميذ البحث عن التغير العشوائي. شرعوا يجيبون. لكن في الواقع الاجتماعي والسياسي، يصعب وضع قانون لضبط التغير العشوائي، قد يكون فوضى خلاقة وقد يكون مدمرا. وفي حالة التعليم المغربي اليوم كان خلافا. فمن نافذة الفصل الدراسي الذي أراقب فيه، أتابع المدير يتنقل بين مساعديه الخمسة بحماس.

أقرأ التعليمات على ورقة المرشحين «يسمح باستعمال آلة حاسبة غير قابلة للبرمجة»، نادرون هم المراقبون الذين يعرفون الفرق بين الآلات الحاسبة. ومن التعليمات أيضا «ممنوع مغادرة الفصل قبل مرور نصف الغلاف الزمني». المشكل أن بعض التلاميذ يريدون مغادرة الفصل بعد أربعين دقيقة ولا سيسوشون على غيرهم. عادة يملك الكسالي والبايسون مهبة رهيبة في اختراع الإشكالات وتعقيدها، ومنها طرح أسئلة لفتح مناقشات عن مصير الامتحان السابق، وطلب الذهاب للمرحاض بعد نصف ساعة من الدخول.. لدى هؤلاء التلاميذ أجوبة عن أسئلة عشوائية غير مكتوبة على ورقة الامتحان، وهم يكرهون حالات الهدوء والانضباط لأنها تفرض عليهم ضغطا وتكشف خوارهم وعجزهم عن الإنجاب ثلاث ساعات على ورقة الامتحان.

اضطر المدير لوضع استثنائي، وهو السماح لبعض المشاغبين بمغادرة الفصل في نصف ساعة، وأجبرهم على الوقوف في زاوية في ساحة الثانوية حتى يصل المحدد. وهكذا ضمن الهدوء وطبق القانون لأنه منع تلميذا يتوفر على ورقة الامتحان من الخروج للشارع. بعد ساعة غادر خمسة تلاميذ وبقي خمسة عشر، بقي القادرون على عصر أنفسهم لتقديم الأفضل. قلت محاولات الغش وسيطر صمت كبير على القاعة، حان وقت تخصيص الأجوبة.. من اجل هؤلاء شعرت بالإهانة.

لقد جرى التسريب بسبب القصور والإهمال. هذا هو الخبر السيئ. أما الخبر الجيد فهو أن الشعور بالإهانة والاحتجاج بشدة دليل على تقدير المغاربة للمدرسة. فرد الفعل القوي علامة على صلابة المنظومة التعليمية التي تنهض من الصدمة. اعتقد أن في الجسد التعليمي جروحا وعلى جلده جرائيم، لكن العظم سليم.

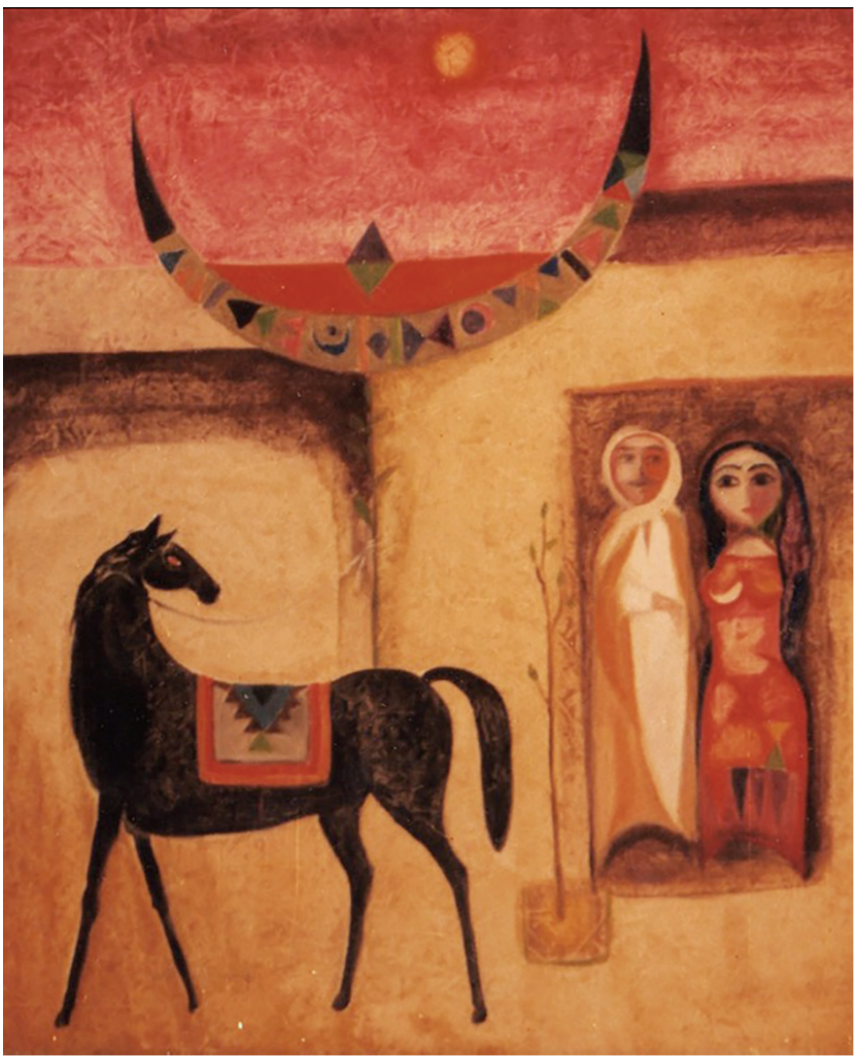
محمد بنغريز

كاتب وسينمائي من المغرب

17 مليون مصاب بمرض التهاب الكبد المزمن (فيروس سي) في العالم العربي، وفق تقرير لمجموعة خبراء اجتمعوا في دبي. يعيش حوالي الـ10 ملايين منهم في مصر، فيما تتجاوز أعدادهم عالمياً الـ200 مليون.

سِتَار لقمان / العراق

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»

- نهج إبراهيم - عزيز تبسي
- «التغذيب» في مصر.. سلاح الدولة الذي ينقلب عليها - مني سليم
- تابعونا على «فيسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

في أحوالنا



(خضير الحميري/العراق - خاص «السفير العربي»)



مدونات

عن عمر البشير

«مش مهم الحجر، المهم البشر!»

تدمير الآثار والتاريخ البشري بحرب نجحت حتى الآن في القضاء على الكثير من آثار وتاريخ هذا البلد لكن المؤكد أنها لن تنجح أبدا في بناء مستقبله. لكن، مش مهم التاريخ، ومش مهم المستقبل! المهم: الأهداف العسكرية الصغيرة والأنية المباشرة التي يتم استهداف المواقع الأثرية من أجلها.

قلعة القاهرة مثلا، أحد أهم المعالم الأثرية في ترمز، قصفها الطيران السعودي ثلاث مرات. وبعد كل مرة، كان مؤيدو العاصفة يواجون أي استهجان قائلين: «مش مهم الحجر، المهم البشر!» لكن: ماذا قصف الطيران السعودي قلعة القاهرة، وما حجم الضرر الذي لحقه القصف بها، وهل حقق هدفه العسكري الميداني في نهاية المطاف؟

قُصفت قلعة القاهرة بهدف القضاء على مضاد طيران نصبه هناك الحوثيون المستهترون بالمعالم الأثرية، مثلهم مثل الطيران السعودي، ولم تكن قذائفه تطال الطائرات بل بعض المواقع في المدينة وجبل صبر. قُصفت القلعة أيضاً بهدف إنهاء وجود الحوثيين والجيش الموالي لهم في الموقع العسكري الموجود في محيط القلعة. وقد دمر القصف الجزء القديم من القلعة المسمى «دار الأدب» والموجود من أيام الصليحيين، والذي كانت هيئة الآثار تعترم تحويله الى متحف. باختصار: «الترميم الحديث والشوش هو الذي بقي»، بحسب تعبير مسؤول في مكتب الآثار بنغازي.

من صفحة «نبيل سبيح» على فايسبوك

إسراء الطويل فين؟

الاعتقال رحمة عن كدا.. الأهل بيكونوا عارفين هوا فين وقادرين يشوفوه ويتعلموا عليه ويوصلوه أكل وغيار وأدوية: إسراء مش معتقلة، إسراء مخلوطة، طول الـ12 يوم اللي بنعدهم كان عشان نعرف هي فين؟

مش من حقنا نعرف هي فين عشان بيقا من حقنا نعرف هي كويسة ولا لا؟ يتكلم؟ يتشرب؟ هندخلها الدوا إمتي؟ بتنام؟ الوقت دا بيعدي عليها ازاي؟ لوحدها؟ نفسيتها عاملة إيه؟ أكيد محتاجة تغير هدومها. خدوها ليه وتاويين على إيه؟ وقاعدين 12 يوم يجهرولها أي قضية ويلفقولها أي تهم؟ هي في أي مين؟ هنعرف مكانها إمتي؟ إيه الي حصللها؟ أذوها؟ وهتفضل عندهم قد إيه؟ واصلا ليه خدوها؟ عملت إيه؟ هوا مش الدستور بيمنض أنه «يجب أن يبلغ فوراً كل من تقيّد حريته بأسباب ذلك، ويحاط بحقوقه كتابة، ويمكن من الاتصال بذويه وبمحامييه فوراً، وأن يُقدّم إلى سلطة التحقيق خلال أربع وعشرين ساعة من وقت تقيّد حريته»؟

نستكي لين تاني؟ يا رب دا المافيا أهون من كدا.. بيتصلوا ويطلبوا اللي يطلبوه ويبرجعوا اللي خاطفينه..

إسراء، بعد ما فقدت قدرتها على الحركة كانت بتعيط وتقوللنا مصر حلوة. مصر اللي مدهتاش أي حاجة وخذت منها كل الحاجات اللي بتحبها وخذت اصحابها.. كانت بتقوللنا عليها حلوة ومش عايزة تسيبها... هي أكيد عرفت غلطها خلاص، يا رب خرجلنا إسراء وكلنا هنمشي والله.. ومش هنجي تاني!

من صفحة «آلاء الطويل» (أخت إسراء) على فايسبوك

من صفحة «عثمان إبراهيم» على فايسبوك